مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الثاني - المجلد الثالث والخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

أهمية الجامعات المتميزة في الوطن العربي
ـ جامعة النهرين أنموذجا ـ

الدكتور ناجح الراوي
أستاذ متمرس ـ جامعة بغداد
عضو المجمع العلمي

الملخص :

شهدت الحضارة العربية الإسلامية جامعات ومعاهد متميزة في نشر العلوم والمعرفة . اما اليوم فان الجامعات العربية لا ترقى الى التميز على المستوى العالمي بسبب ضعف الإمكانيات المادية والعلمية وعدم استيعابها لضغط الأعداد المتزايدة من الطلبة الراغبين في التعليم الجامعي . لذلك تبرز أهمية اختيار بعض الجامعات واعطائها دعما استثنائياً لكي تؤهل ان تكون بين المؤسسات العلمية المرموقة في العالم .

يشير البحث الى عدد من الجامعات المتميزة في العالم ، مستلزمات التميز ، وتجربة جامعة النهرين في العراق كمحاولة لجعلها جامعة متميزة .

١. المقدمة :

كان العلم وما يزال سمة ترافق التقدم الحضاري للأمم والشعوب . فقد تميزت الحضارات القديمة في الصين والهند واليونان باهتمام وتقدم العلوم والفلسفة . وشهدت حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل القديمة تميزا في مختلف نواحي العلوم والتكنولوجيا المناسبة لذلك العصر . اما الحضارة العربية الإسلامية التي ازدهرت بين عامي ٧٥٠ ــ ١٢٥٨م فقد أضافت للمعرفة الإنسانية إضافات نوعية في حقول الفقه ، والآداب ، والكيمياء ، والطب ، والفلك ، والهندسة ، والجبر ، والفلسفة ، وعلم الاجتماع . فكان لجامعات المستنصرية والقرويين والأزهر ومعهد الزيتونة والمدرسة النظامية ، الأثر المباشر في نشر العلوم والآداب وازدهار الحضارة العربية لعدة قرون[١]. فكانت هذه الجامعات معاهد متميزة في عهدها ، ولكنها اضمحلت وتلاشت بعد احتلال الوطن العربي وانتقال مركز الإشعاع الحضاري الى أوربا إذ انتقلت اليها العلوم والمعرفة عن طريق الأندلس حوالي سنة ١٥٠٠م .

يعد التعليم افضل استثمار في تنمية المجتمعات والأمم والشعوب . وتتحمل الجامعات والمعاهد العبء الأكبر في تكوين راس المال البشري والحفاظ على ثقافة الأمة وتجديد حيويتها .

ان المؤسسات الأكاديمية ــ جامعات ومراكز بحوث لاسيما المتميزة منها تعد مقياس ومؤشر لتقدم الأمم والشعوب . وكلمة (أكاديمية academy) تعود الى مكان قرب أثينا كان يجتمع فيه أفلاطون واصحابه يناقشون الأمور العلمية والفلسفية [٢] . وتعد المدرسة النظامية في بغداد والتي أسست لتكون بمثابة أكاديمية لنشر صنوف

العلوم والمعرفة اقدم باربعمئة سنة عن أكاديمية العلوم الإيطالية (أول أكاديمية في الغرب الحديث) [٣].

اما اليوم فعلى الرغم من محاولات نشر التعليم في الوطن العربي وزيادة الطلب على التعليم العالي ، حيث اصبح عدد الجامعات ما يقرب من مئتي جامعة ، الا ان أي من هذه الجامعات لم ترقى الى الجامعات والمعاهد المتميزة في العالم من حيث مستوياتها العلمية .

لقد اصبح العلم والبحث العلمي الطريق الصائب لتخطي العقبات والتحديات في القرن الحادي والعشرين ، ولعل تجارب اليابان ودول جنوب شرق آسيا في القرن الماضي خير دليل على ذلك .

١. سمات وفلسفة التعليم في الوطن العربي :

ازداد الطلب على التعليم في الربع الأخير من القرن الماضي في الوطن العربي واخذت بعض أقطاره بمبدأ التعليم الإلزامي لتقليص الأمية بهدف محوها ، شعورا من الأجهزة الرسمية بأهمية التعليم ، وانسجاما مع التطور الحضاري للأمم . ونتيجة لزيادة أعداد الطلبة في المرحلة قبل الجامعية بسبب الزيادة بعدد السكان والرغبة في التعليم فقد اصبح الطلب متزايداً على التعليم الجامعي ، وظلت فلسفة التعليم الجامعي في اغلب الأقطار العربية تتأرجح بين فلسفتين :

٢ــ١ــ التعليم العالي للنخبة المتفوقة من بين الخريجين من الثانويات وذلك لاعداد الملاكات المتخصصة لدوائر الدولة والمجتمع .

٢ــ٢ــ التعليم العالي حق للجميع فهو ثقافة عامة والدولة غير ملزمة بتعيين الخريجين .

ويمكن إيجاز أهداف الجامعة في الوقت الحاضر على النحو الآتي :

أ. نقل المعرفة عن طريق التدريس

ب. توليد المعرفة بوساطة البحث العلمي .

ج. تطبيق المعرفة وخدمة المجتمع .

ولعل الهدف الأول هو الهدف الطاغي في اغلب الجامعات العربية فمساهماتها في توليد المعرفة وفي تطبيقها ما زال محدودا ، وان نسبة ما تصرفه الدول العربية على البحث والتطوير R & D هو اقل ما يصرف في العالم كما يوضح الجدول رقم (١).[٤] اما ما يصرف على الأمور العسكرية من دون جدوى ــ فهو من أعلى ما يصرف في العالم .

جدول رقم (١)

نسبة ما يصرف على البحث والتطوير R & D من GDP عام ٢٠٠٠م[٤]

الدولة	النسبة	الملاحظات
اليابان	٢,٩	
كوريا الجنوبية	٢,٩	
الولايات المتحدة الأمريكية	٢,٨	
ألمانيا	٢,٦	
فرنسا	٢,٢	المعدل العالمي ١,٧
المملكة المتحدة	١,٩	الدول الصناعية ٢,٤
كندا	١,٧	الدول النامية ٠,٨
الصين	١,٠	
روسيا	١,٠	
البرازيل	٠,٩	
جنوب افريقيا	٠,٧	
الهند	٠,٥	
العرب	٠,٢	

٣ ــ الجامعات والمعاهد المتميزة في العالم :

تشير دراسة أجرتها جامعة شنغهاي في الصين[٥] عام ٢٠٠٤م الى ان دول العالم المتقدم صناعيا تتميز بجامعاتها ومعاهدها ، وان افضل عشر جامعات حسب هذه الدراسة كان على وفق التسلسل الآتي :

١. هارفرد
٢. ستانفورد
٣. كمبردج
٤. كاليفورنيا (بيركلي)
٥. معهد ماساشوستس التكنولوجي (M.I.T)
٦. معهد كاليفورنيا التكنولوجي
٧. برنستون
٨. اكسفورد
٩. كولومبيا
١٠. شيكاغو

وقد قدمت الدراسة افضل ٥٠٠ جامعة ومعهد في العالم ويبين الجدول رقم (٢) توزيع هذه الجامعات المتميزة على دول العالم . ويتضح من الجدول ان أي من جامعات الدول العربية او الإسلامية لم تدرج ضمن الجامعات المتميزة .

ان تقييم (تقويم) التميز لجامعة ما هو تقييم عام ... ويمكن لبعض الجامعات ان تبرز وتتميز باختصاص معين ، فالجامعات الأمريكية مثلا تقدم تقييما سنويا للجامعات ولكل قسم على حدة ، ويمكن ان يبرز قسما من دون آخر .

جدول رقم (٢)

توزيع افضل ٥٠٠ جامعة ومعهد على دول العالم[٥]

التسلسل	الدولة	عدد الجامعات المتميزة	عدد السكان[٦]	الجامعات المتميزة لكل مليون
١	الولايات المتحدة الأمريكية	١٦٨	٢٩١,٠٠٠,٠٠٠	٠,٥٧٧
٢	ألمانيا	٤٣	٨٢,٥٣١,٦٧١	٠,٥٢١
٣	المملكة المتحدة	٤٢	٥٨,٧٨٩,١٩٤	٠,٧١٤
٤	اليابان	٣٤	١٢٧,٦١٩,٠٠٠	٠,٢٦٦
٥	كندا	٢٣	٣١,٩٢٠,٠٠٠	٠,٧٢٦
٦	ايطاليا	٢٣	٥٧,٨٨٨,٢٤٥	٠,٣٩٧
٧	فرنسا	٢١	٦٠,٢٠٠,٠٠٠	٠,٣٤٩
٨	استراليا	١٤	١٨,٩٧٢,٣٥٠	٠,٧٣٨
٩	هولندا	١٢	١٦,٢٩٢,٣٥٤	٠,٧٣٧
١٠	السويد	١٠	٩,٠١١,٣٩٢	١,١١٠
١١	أسبانيا	٩	٤٢,٧١٧,٠٦٤	٠,٢١١
١٢	الصين	٩	١,٢٤٢,٦١٢,٢٦٦	٠,٠٠٧
١٣	كوريا الجنوبية	٨	٤٨,٥١٧,٨٧١	٠,١٦٥
١٤	سويسرة	٨	٧,٣١٧,٨٧٣	١,٠٩٣
١٥	إسرائيل	٧	٤,٧٢٥,٠٠٠	١,٤٨١
١٦	بلجيكا	٧	١٠,٣٣٦,٤٢١	٠,٦٧٧
١٧	النمسا	٥	٨,١٤٠,١٢٢	٠,٦١٤
١٨	الصين ــ هونغ كونك	٥	٦,٧٠٨,٣٨٩	٠,٧٤٥
١٩	الدنمارك	٥	٥,٤١١,٤٥٠	٠,٩٢٤
٢٠	فنلندة	٤	٥,٢٣٦,٦١١	٠,٧٦٤
٢١	النرويج	٤	٤,٥٧٧,٤٥٧	٠,٨٧٤

٢٢	البرازيل	٤	١٨٤,١٨٤,٢٦٤	٠,٠٢٢
٢٣	جنوب افريقيا	٤	٤٦,٨٨٨,٢٠٠	٠,٠٨٥
٢٤	ايرلندة	٣	٣,٩١٧,٢٠٣	٠,٧٦٦
٢٥	نيوزيلاند	٣	٤,٠٠٩,٢٠٠	٠,٧٤٨
٢٦	المجر	٣	١٠,١٤٢,٣٦٢	٠,٢٩٦
٢٧	الصين ــ تايوان	٣	٢٢,٦٨٩,١٢٢	٠,١٣٢
٢٨	الهند	٣	١,٠٢٧,٠١٥,٢٤٧	٠,٠٠٣
٢٩	اليونان	٢	١٠,٩٣٩,٧٧١	٠,١٨٣
٣٠	سنغافورة	٢	٤,١٦٣,٧٠٠	٠,٤٨٠
٣١	بولندة	٢	٣٨,١٧٣, ٨٣٥	٠,٠٥٢
٣٢	روسيا	٢	١٤٥,١٦٦,٧٣١	٠,٠١٤
٣٣	شيلي	١	١٥,١١٦,٤٣٥	٠,٠٦٦
٣٤	البرتغال	١	١٠,٤٧٤,٦٨٥	٠,٠٩٥
٣٥	الجيك	١	١٠,٢١١,٤٥٥	٠,٠٩٨
٣٦	الأرجنتين	١	٣٦,٢٦٠,١٣٠	٠,٠٢٨
٣٧	المكسيك	١	٩٧,٤٨٣,٠٠٠	٠,٠١٠

٤ ــ سمات ومعايير تميز الجامعات :

تتميز الجامعات العالمية المعروفة بتقاليدها الأكاديمية وسمعتها العلمية المرموقة واستقرار أساليب عملها..وتطور مكتباتها ومراكز التوثيق فيها واحتوائها على المختبرات الحديثة المتطورة ويسعى للعمل فيها خيرة العلماء والأساتذة في حقل الاختصاص،لذلك يتبارى الطلبة المتفوقون للدخول في هذه الجامعات والمعاهد التي تتوازن فيها عادة الدراسات الجامعية الأولية والدراسات العليا ومراكز البحوث العلمية فتسعى المؤسسات والشركات لدعمها مادياً للاستفادة من بحوثها العلمية في تطوير منتجاتها ومن خصائص الجامعات المتميزة على النحو الآتي :

٤ ــ ١ العناية الفائقة باختيار رؤساء الجامعات ، وعمداء الكليات ، ورؤساء الأقسام العلمية ، من العلماء والتربويين المشهود لهم بالكفاية .

٤ــ٢ استقلال الجامعة من أي تدخل في شؤونها الداخلية على الرغم من إسناد الحكومة لها ودعمها مادياً بسخاء من الدولة ومؤسسات المجتمع وادارة الجامعة من مجلس أمناء مستقل ممن يشهد لهم بالكفاية المعهودة .

٤ــ٣ اختيار الكليات والأقسام العلمية المطلوبة بعناية وجذب خيرة الأساتذة المعروفين بعطائهم وانتاجهم العلمي وصرف رواتب مجزية لهم وتشجيعهم على حضور المؤتمرات العلمية واعطائهم المرونة من حيث الصلاحيات للصرف على الأبحاث العلمية وخلق الشعور بالانتماء للجامعة ، والتنافس العلمي الموضوعي لنشر الأبحاث وتأليف الكتب ، وتسجيل براءات الاختراع .

٤ــ٤ تحديد عدد الطلبة المقبولين في الجامعة ومستوياتهم وبما يحافظ على نسبة عالية بين الأساتذة والطلبة .

٤ــ٥ فتح مرافق الجامعة ــ المختبرات والمكتبة ــ أمام الطلبة لاسيما طلبة الدراسات العليا لأوقات مناسبة ، وحسب الحاجة ، وتشجيع الفعاليات اللاصفية ، والاهتمام بنوادي الطلبة والأقسام الداخلية ، والمرافق الرياضية .

٤ــ٦ تقييم أداء عادل وموضوعي للمنتسبين وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب (مكافأة المجدين ومحاسبة المقصرين) .

ان الجامعات المعاهد المتميزة غالباً ما تكون منبع الأفكار الجديدة والاختراعات ، ومنها يظهر حملة جوائز نوبل والجوائز

الأخرى المعروفة عالمياً . ولأساتذتها تنشر البحوث الأصيلة المتميزة ومنها يبرز القادة لمجتمعاتهم .

٥ ــ مبررات وجود جامعات ومعاهد متميزة في الوطن العربي :

ان اغلب الجامعات العربية اليوم تتسم بانخفاض المستوى العلمي ، وغياب الجو الجامعي ، اغلبها عبارة عن ثانويات كبيرة تعج بآلاف الطلبة من دون توفر المستلزمات المطلوبة .

ان رغبة الطلبة لاكمال الدراسة الجامعية وزيادة الإقبال على التعليم والأخذ بمبدأ ــ التعليم العالي حق للجميع ــ أدى الى ان تقوم الجامعات بقبول آلاف الطلبة المتقدمين مع ان إمكانيات استيعابها محدودة . ومن الملاحظ ان الإمكانيات المادية للصرف بسخاء على الجامعات في الأقطار العربية محدودة باستثناء دول الخليج العربي النفطية .. اما عدد الأساتذة المؤهلين فهو غالباً لا يتناسب واعداد الطلبة وان رواتب الأساتذة ومخصصاتهم قليلة ، والأجواء غير مشجعة ، فهم مرهقون بساعات تدريسية عديدة ، واغلبهم يعمل من دون المحفزات الموجودة في جامعات الغرب المتميزة .. لذلك فان التفكير بتأسيس بعض الجامعات المميزة في الأقطار العربية له ما يبرره ..

فالصرف بسخاء على جميع الجامعات غير ممكن في اغلب الأقطار بسبب الأوضاع الاقتصادية وان عدد الأساتذة بالعدد والنوعية المطلوبة للجامعات غير متوفرة حالياً مع أهمية إيجاد ملاكات علمية متميزة وخبراء في جميع الاختصاصات ، ومراكز بحثية متقدمة في حقول العلم والتكنولوجيا .. أي هناك حاجة في الأقطار العربية لتخريج نخبة لقيادة المجتمع مما يحتم التركيز على جامعات ومعاهد معينة واعطائها كل الدعم والتميز من ملاكات ورواتب وتهيئة الجو العلمي

والأمن لتكون هذه المعاهد والجامعات مراكز إشعاع تساعد في خلق العلماء والمفكرين وتشارك في البحث العلمي الجاد ونقل التكنولوجيا والتأثير الفاعل في خدمة المجتمع . وبذلك تكون الجامعات الأخرى لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الطلبة ونشر الثقافة العامة ضمن الإمكانيات المتاحة ويتاح للجامعة المتميزة تخريج النخبة المطلوبة .

٦ ــ تجربة جامعة النهرين :

تأسست نواة الجامعة من كليات طب وكلية للقانون عام ١٩٨٧م وكلية للهندسة والعلوم عام ١٩٨٨م. ثم تأسست جامعة بموجب القانون رقم ١٧ لسنة ١٩٩٣م لتضم كلية للعلوم السياسية فضلا عن الكليات السابقة ، وفي عام ٢٠٠٢م استحدثت كلية المعلوماتية، وفي عام ٢٠٠٣م عدل اسم الجامعة الى جامعة النهرين.

كان الهدف ان تكون الجامعة .. جامعة نموذجية متميزة عن باقي الجامعات العراقية بنظامها وارتباطها ونوعية الأساتذة ، والطلبة ، وامتيازات الطلبة ومحدودية أعدادهم ، وقد أعطيت كل الامتيازات الممكنة في ظل الظروف التي كان يعيشها القطر آنذاك ... فهل أصبحت جامعة متميزة ؟ للجواب على التساؤل لابد من استعراض ابرز الإيجابيات والسلبيات للجامعة خلال عمرها القصير نسبيا .

٦ــ١ــ الإيجابيات :

٦ــ١ــ١ استقطبت أساتذة بمستويات علمية جيدة ومن حملة شهادة الدكتوراه في الغالب ، وذلك بنقل اغلبهم من الجامعات العرقية الأخرى لاسيما جامعة بغداد .

٦ــ١ــ٢ منحت الأساتذة رواتب مجزية تقارب ثلاثة أضعاف ما يتقاضاه زملائهم في الجامعات الأخرى .

٦ــ١ــ٣ قبلت أعداد محدودة من الطلبة المتفوقين نسبيا في الامتحانات الوزارية للدراسة الثانوية واجرت لهم امتحان قبول خاص ، ومنحت الطلبة مخصصات شهرية ، وامنت لهم التعيين بعد التخرج .

٦ــ١ــ٤ حددت ساعات المحاضرات (التي يلقيها الأساتذة ضمن النصاب ليتسنى لهم إجراء البحوث العلمية والإشراف على الطلبة .

٦ــ١ــ٥ حاولت ان تطبق نظام الوحدات بدلا من النظام السنوي او النصف سنوي المعمول به في الجامعات العراقية الأخرى ، فتم استثمار فصل الصيف للدراسة .

٦ــ٢ــ السلبيات :

٦ــ ٢ ــ١ ــ لم تكوّن الجامعة لها موقع محدد (حرم جامعي موحد campus) ، فقد اقتطعت جزء من حرم جامعة بغداد في الجادرية وكونت جزء آخر في الكاظمية على الرغم من قلة عدد كلياتها وطلابها عند التأسيس ففقدت وحدة الموقع احتكاك الأساتذة والطلبة فيما بينهم ... ففقدت الجو الجامعي المطلوب .

٦ــ٢ــ٢ــ لم يتالف للجامعة مجلس أمناء من العلماء والتربويين المعروفين كما كان مخططا لها . فارتبطت بديوان رئاسة الجمهورية مما افقدها المرونة والحرية الأكاديمية .

٦ــ٢ــ٣ــ أخذت بنظام المقررات بالاسم فقط وبدوام مكثف بما فيه فصل الصيف لاختزال الوقت، ولم يكن للطلبة أية حرية باختيار الدروس او عددها في الفصل الواحد ... وقلصت مدة الدراسة لتصبح ثلاث سنوات للشهادة الجامعية الأولية (باستثناء الطب الذي بقي سنوات) . ويستمر اغلب الخريجين لسنتين إضافيتين للحصول على

شهادة الماجستير بغض النظر عن إمكانيات الطلبة وظروفهم وقابلياتهم .

٦ــ٢ــ٤ــ لم تتمكن الجامعة من جذب افضل الطلبة على الرغم من الامتيازات بسبب حداثة الجامعة وبعض الأجواء الأخرى .

٦ــ٢ــ٥ــ لم تتطور المختبرات والأجواء الأكاديمية ولم يلمس تأثير واضح للجامعة في المجتمع كما كان مؤملا .

ان من سمات الدول النامية عدم الاستقرار ، لهذا فبعد احتلال العراق من الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٣ . فقد اصبح ارتباط الجامعة عائما ، واخيرا ارتبطت بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ليسري عليها ما يسري على باقي الجامعات العراقية وبذلك فقدت امتيازاتها والأمل في ان تكون جامعة متميزة .

٧ ــ الخاتمة :

ما زال عدد خريجي الجامعات في الوطن العربي قليل بالنسبة لعدد السكان ، وان التطور السريع في مجال العلم والتكنولوجيا يتطلب زيادة المعرفة ، ومن المتوقع ان يزداد الطلب على التعليم الجامعي وهو حق لمن يرغب فيه .

ان أوضاع الجامعات العربية ومعاهدها غير قادرة في الوقت الراهن ان توفر تعليما متميزا نظرا للصعوبات المادية ، وعدم توفر الملاكات المؤهلة والكافية للوصول الى التميز في معظم الأقطار . لذلك فان تبني عدد الجامعات واعطائها الدعم اللازم والرعاية الكافية لتخريج نخبة من العلماء والمفكرين وتكون مراكز إشعاع ومراكز للبحث العلمي في حقول واختصاصات محددة له ما يبرره في هذه المرحلة لتقليص الفجوة التي تفصلنا عن العالم المتقدم .